فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين



دار القلم العربي
للأطفال

فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (**وَكُلاً نقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنْبَاءِ الرُسُلِ مَاتُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجَاءَكَ فِي هذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى للمُؤْمِنِيْن**)

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال



إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سليمانُ الملكُ والنبيُّ

هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الَّذِيْ وَرِثَ المُلْكَ وَالنُّبُوَّةَ عَنْ أَبِيْهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ حَبَاهُ[1] مُعْجِزَةً عَظِيْمَةً، وَهِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَعْرِفُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَالبَهَائِمِ[2] وَيَفْهَمُ لُغَتَهَا، يَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ العَزِيْزِ مِنْ سُوْرَةِ النَّمْلِ:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[3]

---

(١) حباه: منحه.

(٢) البهائم: الحيوانات.

(٣) سورة: النمل (١٦).

سليمانُ والنملُ

وَوَهَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكاً عَظِيْماً، لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِه وَلاَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَيَّدهُ بِجُنُودٍ مِنَ الْجِنّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْر، فَكَانَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ تَسِيرُ عَلَى الأَرْضِ، أَمَّا الطَّيْرُ فَكَانَتْ تُحلِّقُ فَوْقَهُ تُظَلِّلُهُ بِأَجْنِحَتِهَا لِتَمْنَعَ عَنْهُ وَهْجَ الشَّمْسِ وَحَرارَتها.

وَبَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، يَسيْرُ بِهَذَا الْجَيْشِ، إِذِ اقْتَرَبَ مِنْ وَادٍ تَعِيْشُ فِيْهِ أَسْرَابٌ هَائِلَةٌ مِنَ النَّمْلِ، فَبَصُرَتْ بِهِ نَمْلَةٌ مِنَ النِّمَالِ، وَهُوَ مَا زَالَ بَعِيْدَاً، فَجَزِعَتْ وَخَافَتْ مِنْ أَنْ يَدُوْسَهَا سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَيَدُوسُونَ بَاقِيَ النَّمْلِ، فَنَادَتَ بِأَبْنَاء قَوْمِهَا أَنِ ادْخُلُوا مَسَاكِنكُم حَتَّى لاَ تَذْهَبُوا ضَحِيَّةَ سُلَيْمَانَ وَجُنُودِهِ وَهُمْ لا يَشْعُرُون بِكُمْ.

وَسَمِعَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَوْلَهَا، وَفَهِمَ نِدَاءَهَا وَمَا خَاطَبتْ بِهِ تِلْكَ النَّمْلَةُ لأُمَّتِها، فَتبسَّمَ لِذَلِكَ تَبَسُّمَ فَرِحٍ وَاسْتِبْشَارٍ وَسُرُوْرٍ، لمَا أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ دُوْنَ غَيْرِهِ، مِنْ فَهْمِ لِلُغَةِ النَّمْلِ وَغَيْرِهِ، وَعِنْدَئِذٍ مَنَعَ جُنْدَهُ مِنَ التَّقَدُّم، حَتَّى دَخَلَ النَّمْلُ بُيُوتَهُمْ، وَوَقَفَ سُلَيْمَانُ شَاكِراً الله عَزَّ وَجَلَّ، طَالِباً مِنْهُ القُدْرَةَ عَلَى شُكْرِ فَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ، وَراجِياً مِنْهُ أَنْ يُرْشِدَهُ إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَة، وَأَنْ يُسَدِّدَ خُطَاهُ وَأَنْ يَحْشُرَهُ إِذَا تَوَفَّاهُ مَعَ عِبَادِهِ الصَّالِحِيْنَ،

فَاسْتَجَاب اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ. يَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى فِي سُوْرَةِ النَّمْلِ:

﴿وَحُشِرَ[1] لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ[2] ۝١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ[3] أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾[4].

سليمانُ والهدهدُ

أُصِيْبَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ بِقَحْطٍ، وَجَفَافٍ، فَامْتَنَعَتِ الأَمْطَارُ وَغَاضَتِ[5] الآبَارُ، وَكَانَ الهُدْهُدُ مِنْ جَيْشِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعْرِفُ، بِمَا أَلْهَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُوَّةٍ أَوْدَعَها فِيْهِ، أَمَاكِنَ وُجُودِ المَاءِ فَإِذَا عَطِشَ القَوْمُ أَرْسَلُوهُ، لِيَبْحثَ لَهُمْ عَنْ

---

(١) حشر: جمع.

(٢) يوزعون: يجمعون ثم يساقون.

(٣) أوزعني: ألهمني.

(٤) سورة النمل (١٧ ـ ١٩).

(٥) غاضت: جفت.

مَكَانٍ تَتَوَافَرُ فِيْهِ المِيَاهُ ، فَيَبْدأُ القَوْمُ بِالْحَفر حَتَّى يَظْفَرُوا بِهَا ، وَعِنْدَمَا تَفقَّدَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ الطَّيْرَ، بَاحثاً عَنِ الهُدْهُدِ، لَمْ يَرهُ بَيْنَ الصُّفُوف، فَغَضِب غَضَباً شَدِيْدَاً، وَأَقْسَم لَيُعَذِّبَنَّهُ أو لَيَذْبَحَنَّهُ إلاَّ إذَا أَتَى بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ تُنْجِيهِ وَتُنْقِذُهُ مِنَ العَذَابِ اللاَّحِقِ بِهِ لاَ مَحَالَةَ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[1].

سليمانُ وبلقيسُ

عَادَ الهُدْهُدُ بَعْدَ غِيَابٍ قَصِيْر، يَحْمِلُ مَعَهُ الْحُجَّةَ الدَّامغَةَ، الَّتِي سَتُنْقِذُهُ مِنَ العَذَابِ، وَتَقَدَّمَ نَحْوَ سَيِّدِهِ بُخضُوْعٍ وَاحْتِرَامٍ كَبِيْرَيْنِ قَائِلاً:

لَقَدِ اطَّلَعْتُ عَلَى مَالَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ، وَعَرَفْتُ سِرّاً لَمْ تَعْرِفْهُ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ[2] بِنَبَأٍ يَقيْنٍ.

وَتَلَهَّفَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِمَعْرفَةِ هَذَا النَّبَأ، وَهَذَا السِّرِّ

---

(١) سورة النمل (٢٠، ٢١).

(٢) سبأ: اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن والمقصود هنا مملكة سبأ.

العَظِيْمِ، وَطَلبَ مِنَ الهُدْهُدِ أَنْ يُطْلعهُ عَلَيْهِ بِأَسْرَعِ مَا يَكُونُ فَقَالَ الهُدْهُدُ: إنِّي وَجَدْتُ بِأَرْضِ سَبأٍ، مَلِكَةً تَحْكُمُ النَّاسَ هُنَاكَ، وَتَسُوْسُهُم، تُدعَى بلْقِيْسَ وَقَدْ وَهَبهَا اللهُ مُلْكاً عَظِيْماً، وَآتَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيْمٌ. إلاَّ أَنَّ إبْلِيْس لَعَنَهُ اللهُ قَدْ وَسْوَسَ وَزَيَّنَ لَهُمْ عَرَضَ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ، وَصَدَّهُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِ، وَالصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ، فَعَبَدُوَا الشَّمْسَ مِنْ دُوْنِ اللهِ، وَسَجَدُوا لَهَا، فَجَزِعْتُ لِمَا رَأَيْتُ وَحَزِنْتُ لِمَا شَاهَدْتُ، يَقُوْلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيْزِ:

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ[1] فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا[2] يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ[3] فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾[4].

وَلَمَّا سَمِع سُلَيْمَانُ مَا قَالَهُ الهُدْهُدُ تَمَلَّكَتْهُ الدَّهْشَةُ، وَرَأَى أَنْ

---

(١) السبيل: طريق الحق.

(٢) ألا: أي أن يسجدوا ولا زائدة.

(٣) الخبء: مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات.

(٤) سورة النمل (٢٢ ـ ٢٦).

يَتَحَقَّقَ مِنْ هَذِهِ الأَخْبَار فقَالَ لَهُ:

ـ سَنَرى عَمَّا قَرِيْبٍ كَذِبَكَ مِنْ صِدْقِكَ، فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَحَدَّثْت وَبَيَّنتَ، فَاذْهَبْ بِكِتَابِيْ هَذَا إِلَى الْمَلِكَةِ بلْقِيْسَ، ثُمَّ اذْهَبْ إِلَى مَكَان تَعْرِفُ مِنْ خِلاَلِهِ رِدَّةَ فِعْلِهَا وَجوَابَهَا، وَكَانَ الْكِتَابُ يَتَضَمَّنُ دَعْوَتَهُ للْمَلِكَة وَلِشَعْبهَا إِلَى طَاعَةِ الله وَرَسُوْلِهِ وَالإِذْعَانِ وَالْخُضُوْعِ لَهُ وَالدُّخُولِ تَحتَ إِمْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ.

انْطَلقَ الْهُدْهُدُ حَامِلاً كِتَابَ سَيّدِهِ إِلَى الْمَلِكَة بلْقِيْسَ، وَمَا إِنْ وَصَلَ حَتَّى أَلْقَى الْكِتَابَ أَمَامَها فَأَسْرَعتْ لالْتقَاطِهِ وَقرأَتْ مَا فِيْهِ أَمَامَ حَاشِيَتِهَا وَوُزَرَائها وَقَادَةِ جُنْدِهَا، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيْزِ:

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ[1] عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ[2] إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[3].

وَالْتَفَتَتِ الْمَلِكَةُ بلْقِيْسُ إِلَى وُزَرَائِهَا وَأُمَرَائِهَا وَقَادَةِ جُنْدِهَا، تَطْلُبُ مِنْهُمُ الْمشُورَةَ وَالنَّصِيْحَةَ، فِيْمَا يَدْعُو إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ

---

(١) تَوَلَّ: انصَرِفْ عنهم وَقِفْ قريباً منهم.

(٢) الملأ: أشراف القوم.

(٣) سورة النمل (٢٧ ـ ٣١).

السَّلَامُ قَائِلَةً لَهُمْ:

- لَمْ أَكُنْ لأَجْزِمَ فِي أَمْرٍ خَطِيْرٍ كَهَذَا، حَتَّى آخُذَ رَأْيَكُمْ وَأَسْتَطْلِعَ خَبَايَاكُمْ. فَقَالُوا لَهَا: مَا نَحْنُ إلاَّ أَصْحَابُ قُوَّةٍ وَبَأْسٍ، نَخُوْضُ غِمَارَ الْمَعَارِكِ، وَنُقَارِعُ الأَبْطَالَ فَإِنْ أَرَدْتِ مِنَّا ذَلِكَ كُنَّا عَلَى أَهُبَةِ الاسْتِعْدَادِ، فَالأَمْرُ إِلَيْكِ أَيَّتُهَا الْمَلِكَةُ، انْظُرِيْ مَاذَا تَأْمُرِيْنَ وَنَحْنُ رَهْنُ إِشَارَتِكِ وَطَوعُ بَنَانِكِ[1].

لَمْ تَرَ الْمَلِكَةُ فِي رَأْيِ رِجَالِهَا حِنْكَةً وَصَوابَاً، فَهِيَ قَدْ لَمَستْ مِنْهُمْ مَيْلاً إِلَى الْحَربِ، فَأَوْضَحَتْ لَهُمْ أَنَّ الصُّلْحَ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ، لأَنَّهَا تَعْرِفُ، أَنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَهْلَكُوهَا وَخَرَّبُوهَا، واسْتَبَاحُوا أَمْوَالَهَا وَنِسَاءَهَا وَقَطَعُوا أَشْجَارَهَا وَقَتلُوا حَيْوَانَاتِها وَلِهَذَا كُلِّهِ آثَرَتْ الْمُخَادَعَة وَالْمُجَامَلَةَ، لِتَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهَا وَبَلَدِهَا شَرَّاً مُسْتَطِيْرَاً، فَهَيَّأَتْ هَدِيَّةً ثَمِيْنَةً، جَمَعَتْ فِيْهَا كُلَّ غَالٍ وَنَفِيْسٍ وَأَرْسَلَتْهَا مَعَ رِجَالٍ مِنْ أَعِزَّةِ الْقَوم إِلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِتَعْرِف بِهَا نَهْجَهُ وَتَكْشف خُطَّتُه.

أَمَّا الْهُدْهُدُ فَقَدْ أَسْرَعَ إِلَى سَيِّدِهِ، لِيَنْقُلَ إِلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَلِكَة، وَمَا قَرَّرَتْ أَنْ تَفْعَلَهُ فَكَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على أَتَمّ اسْتِعْدَاد لاسْتِقْبَال الرِّجَال، بَعْدَ أَنْ أَمَرَ جُنُوْدَهُ مِنَ الْجِنِّ أَنْ يَبْنُوا لَهُ قَصْرَاً مُنِيْفَاً، لَمْ تَرَ مِثْلَهُ عَيْنٌ قَطُّ، يَسْلُبُ الْعُقُوْلَ وَيَبْهَرُ الْعُيُوْنَ،

---

(١) البنان: الأصابع.

وَعِنْدَمَا وَصَل الْقَوْمُ، خَرَجَ إِلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِوَجْهٍ بَشُوش مُرَحِّباً بِهِمْ، عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمُوا بِهَدِيَّتِهِمْ إِلَيْهِ، رَاجِيْنَ أَنْ تَنَالَ مِنْهُ رَضىً وَقَبُوْلاً، لَكِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، رَفَضَ هَدِيَّتَهُمْ وَقَالَ لِزَعِيْمِهِمْ.

- ارْجِعْ بِهَا إِلَى الْمَلِكَةِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَهَبَنِي رِزْقاً عَمِيْماً وَمَالاً وَفِيْرَاً وَعَيْشَاً رَضِيّاً وَمَدَّ لِي أَسْبَابَ الْمُلكِ وَالنُّبُوَّةِ، وَآتَانِي مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدَاً مِنَ الْعَالَمِيْنَ، وَتَابَعَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَلاَمَهُ قَائلاً: وَكَيْفَ يَقْبَل مِثْلِيْ مَالاً يَصْرِفُهُ[1] عَنْ نَشر دَعْوتِهِ، وَيُلْهِيْهِ عَنْ رِسَالَتِهِ، إِنَّكُمْ قَوْمٌ لاَ يَهُمُّكُمْ سِوَى مَتَاع الدُّنْيَا، ذْهَبْ أَيُّهَا الرَّسُوْلُ بِهَدِيَّتِكَ تِلْكَ إِلَى مَلِكتك وَلْتَعْلمْ أَنَّنَا سَنَأْتِيْكُمْ بِجُنُوْدٍ لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهَا وَلاَ قُدْرَةَ لَكُمْ عَلَى مُقَارَعَتِهَا، وَسَنُخْرِجُكُمْ مِنْ سَبَأٍ أَذِلَّةً صَاغِرِيْنَ[2] يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيز:

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى[3] فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً

---

(١) يصرفه: يَمْنَعُهُ ويلهيه.

(٢) صاغرين: خاضعين.

(٣) أفتوني: أشيروا علي.

وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ[1] لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2].

وَعِنْدَمَا عَادَ الرِّجَالُ وَأَخْبَرُوا الْمَلِكَةَ بلْقِيْس بِرَدِّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لَمْ يَكُنْ لَهَا بُدٌّ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَة، فَبَادَرتْ إِلَى إِجَابَتِهِ وَاتَّجَهتْ مَعَ قَوْمِهَا إِلَيْهِ سَامِعَةً مُطِيْعَةً خَاضِعَةً، عِنْدَهَا طَلَبَ النَّبِيُّ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنْ جُنُودِهِ المُسَخَّرِيْنَ لَهُ، أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ عَرْشَ بلقِيْس قَبْلَ قُدُوْمِهَا فَنَهَض أَحَدُ الْجنُودِ مِنَ الْجِنِّ وَ:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ[3] وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[4].

وَلَكِنَّ رَجُلاً ذَا علْمٍ وَحِكْمَةٍ، كَانَ حَاضِراً الْمَجْلِس، هَبَّ وَاقِفاً و:

---

(١) لا قبل: لا طاقة ولا قدرة.

(٢) سورة النمل (٣٢ ـ ٣٧).

(٣) أي قبل أَنْ ينقضي مجلس حكمك.

(٤) أي لقوي على إحضاره وأمين على مَا فِيهِ من جواهر ، سورة النمل الآية (٣٩).

﴿ى[1] قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾[2].

وَأُحْضِر عَرْشُهَا فَكَانَ أَمَامَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَسْرَعِ مَا يَكُوْنُ، فَشَكَرَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَعَرَفَ أَنَّ فَضْلَهُ هَذَا وَنِعْمَتَهُ تِلْكَ اخْتِبَارٌ لِلْعِبَادِ فَمَنْ شَكَرَ اللهَ فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِ الشَّاكِرِيْنَ وَكُفْرِ الْكَافِرِيْنَ.

ثُمَّ أَمَرَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ تُغيَّرَ زِيْنَةُ الْعَرْشِ لِيَخْتَبِرَ ذَكَاءَ بلْقِيْسَ وَفَهْمَهَا، فَلَمَّا عُرِضَ عَلَيْهَا دُهِشَتْ لِشِدَّةِ الشَّبَهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَرْشِهَا، الَّذِيْ خَلَّفَتْهُ فِي الْيَمَنِ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَاً يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الصُّنْعِ الْعَجِيْبِ.

وَكَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ أَمَرَ بِبِنَاءِ صَرْحٍ[3] مِنْ زُجَاجٍ، وَأَجْرَى الْمَاءَ فِيْ مَمَرِّهِ، وَأُمِرَتْ بِدُخُوْلِ الصَّرْحِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ ظَنَّتْ أَنَّهُ بَحْرٌ تَتَلَاطَمُ فِيْهِ الأَمْوَاجُ، فَكَشَفتْ عَنْ سَاقَيْهَا فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ:

ـ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ[4]، مَبْنِيٌّ مِنْ زُجَاجٍ أَبْيَضَ.

---

(١) قيل هو رجل صالح يدعى: آصف.

(٢) طرفك: نظرك، من سورة النمل (٤٠).

(٣) الصرح: البناء الشامخ العظيم.

(٤) ممرد: أملس.

فَانْكَشَفتْ أَسْتَارُ الظَّلَامِ وَالْغَفْلَةِ عَنْهَا، وَعَادتْ إِلَى رُشْدِهَا، وَكَأَنَّهَا كَانَتْ فِي حُلُمٍ وَقَالَتْ:

ـ رَبِّ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ، انْحَرَفْتُ عَنْ عِبَادَتِكَ رَدَحاً مِنَ الزَّمَنِ، وَظَلَمْتُ نَفْسِيْ، إِنَّكَ عَفُوٌّ رَحِيْمٌ غَفُوْرٌ. وَالآنَ قَدْ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ صَادِقَةً مُتَوَجِهةً إِلَى طَاعَتِكَ وَبِرِّكَ، إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النمل:

﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

حكمةُ سليمان

كَانَ النَّبِيُّ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَحْضُرُ مَجَالِسَ القَضَاءِ الَّتِي يَعْقِدُهَا وَالِدُهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقْضِيَ بَيْنَهُم بِالْعَدْلِ، حَتَّى يَكُوْنَ لَهُ مِنْ آرَاء وَالِدِهِ نُوْرٌ يَمْشِيْ بِهِ وَيَهْتَدِيْ، فَتَزْدَادُ قُوَّتُهُ، وَتَتَّسِع مَعْرِفَتُهُ بِشُؤُوْن الْقَضَاءِ.

---

(١) سورة النمل الآيات (٤١ ـ ٤٤).

وَفِي أَحَدِ الْمجَالسِ جَلَسَ الْملِكُ وَالنَّبِيُّ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَجَلَس إِلَى جَانِبِهِ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. وَكَانَ أَمَامَهُمْ خَصْمَانِ:

قَالَ أَحَدُهُمَا إِنَّ بُسْتَاناً لِيْ، أَيْنَعَتْ ثِمَارُهُ وَأَزْهَرتْ أَشْجَارُهُ، فَكَانَ بَهْجَةً لِلنَّاظِرِيْنَ وَمُتْعَةً لِلْمُتَأَمِّلِيْنَ، وَرَاحَةً لِلْمُتْعَبِينَ دَخَلتْهُ أَغْنَامُ خَصْمِيْ لَيْلاً فَرَاحَتْ تَعِيْثُ فِيْهِ فَسَاداً، فَأَكَلتْ ثِمَارَهُ، وَأَبَادَتْ زَرْعَهُ وَلَمْ يَرُدَّهَا رَادٌّ.

أَمَّا خَصْمُهُ صَاحِبُ الْغَنَمِ، فَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ، إِذِ اعْتَرَفَ بِمَا فَعَلتْ أَغْنَامُهُ فَحَكَم دَاوُدُ بِالْغَنَم لِصَاحِب الْبُسْتَان، تَكُوْنُ لَهُ حَلاَلاً طَيِّباً، لِقَاءَ مَا فَعَلَتْ هَذِهِ الأَغْنَامُ بِبُسْتَانِهِ، وَجَزَاءَ إِهْمَال صَاحِبِهَا، الَّذِيْ تَرَكهَا تَرْعَى دُوْنَ مُرَاقَبَةٍ لَهَا مِنْهُ، أَمَّا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَدْ كَانَ سَاكِتاً صَامِتاً، يَسْمَعُ حُجَج الْخَصْمَيْنِ، لَكِنَّهُ انبرى لِلْحَدِيْث وَقَالَ:

- غَيْرُ هَذَا أَرْفَقُ[١]، وَدُوْنَ هَذَا أَوْفَقُ تُعْطَى الأَغْنَامُ لِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ يُرَبِّيهَا وَيَسْتَفِيْدُ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَوْلاَدِهَا، وَتُعْطَى الأَرْضُ لِصَاحِبِ الْغَنَمِ يَحْرُثُهَا وَيَعْتَنِي بِهَا وَيَقُومُ عَلَى زِرَاعَتِهَا، حَتَّى تَعُوْدَ كَمَا كَانَتْ، ثُمَّ يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُلْكهُ الَّذِيْ كَانَ يَمْلِكُهُ.

---

(١) أي أرفق وأعدل بالمتخاصمين.

فَبُهِتَ الْقَومُ الْحَاضِرُوْنَ، لِجَرَاءَة سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَبَرَاعَتِهِ فِي إِيْجَادِ هَذَا الْحَلِّ وَحِكْمَتِهِ وَغَزَارَةِ عِلْمِهِ، وَانْصَرَفَ الْمُتَخَاصِمَانَ رَاضِيَيْنِ سَعِيْدَيْنِ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ مَنْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ:

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ[1] إِذۡ نَفَشَتۡ[2] فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[3].

إكرامُ سليمان

سَخَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، الرِّيْحَ لِتَجْرِيَ كَمَا يَأْمُرُهَا، أَيْ لِتَنْتَقِلَ بِهِ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ أَيِّ الْبِلاَدِ، وَذَلِكَ تَعْوِيْضاً لَهُ عَنِ الْخَيْلِ الَّتِي وَهَبَهَا لَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَمَا أَرَادَ قِتَالَ الأَعْدَاء والَّتِي أَخَّرَتْهُ عَنِ الصَّلاَةِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَتِ الشَّمْسُ فَأَمَرَ بِذَبْحِهَا وَقَطْعِ أَرْجُلِهَا تَقَرُّباً إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ، كَمَا سَخَّرَ الشَّيَاطِيْنَ يَبْنُونَ لَهُ الأَبْنِيَةَ الْعَجِيْبَةَ، وَيَغُوْصُونَ

---

(١) الحرث: الزرع.

(٢) نفشت: أي رعَتْهُ الأغنام ليلاً.

(٣) سورة الأنبياء (٧٨، ٧٩).

فِي الْبَحْرِ يَسْتَخْرِجُونَ اللُّؤْلُؤَ وَآخَرِيْنَ مُقَيَّدِيْنَ بِالسَّلاَسِلِ يَفْعَلُونَ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، يَقُوْلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ (ص):

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ(١) ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ(٢) عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ(٣) بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا(٤) بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً(٥) حَيْثُ أَصَابَ(٦) ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾.

هَذَا وَقَدْ غَضِبَ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ، الَّذِيْنَ عَصَوْا أَوَامِرَ

---

(١) الصافنات: الخيل.

(٢) الخير: أي الخيل.

(٣) توارت بالحجاب: أي اختفت الشمس بما يحجبها عن الأبصار.

(٤) مسحاً بالسوق والأعناق: أي قطع بالسيف سوقها وأعناقها.

(٥) رُخاء: لينة.

(٦) أصاب: أراد.

الأَنْبِيَاءِ، بَلْ ذَهَبُوا إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا أَلْحَقُوا بِبَعْضِهِمُ الأَذَى، فَخَالَفُوا تَعَالِيمَهُمْ وَرَفَضُوا الانْصِيَاعَ لِنَصَائِحِهِمْ وَإِرْشَادَاتِهِمْ فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ رَجُلاً[1] مِقْدَاماً جَرِيئاً، أَتَاهُمْ بِجَيْشٍ لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ، فَانْقَضَّ عَلَيْهِمْ مُخَرِّباً هَدَّاماً، لَمْ يُصَادِفْ مَنْزِلاً إِلاَّ هَدَمَهُ وَلاَ صرْحاً إِلاَّ قَوَّضَهُ وَلاَ طِفْلاً إِلاَّ ذَبَحهُ وَلاَ رَجُلاً كَبِيْرَاً إِلاَّ صَرَعهُ ثُمَّ فَرَّقَ شَمْلهُمْ وَتَرَكَ دِيَارَهُمْ خَرَاباً.

* * * * *

---

(١) هو بُخْتُنَصَّرْ.